

نورالدين درويش

# البذرة واللّهب

شعر

سلسلة الأمواج الأدبية 07

تصدر عن دار أمواج للنشر

جمعية نشاطات المركز الثقافي رمضان جمال سكيكدة

Email : [elamouadjd@yahoo.fr](mailto:elamouadjd@yahoo.fr)

إشراف عاشور بوكلووة

حسن دواس

العنوان : البذرة و اللّهب (شعر)

المؤلف: نورالدين درويش

تصميم الغلاف : دار أمواج

الطبعة الأولى : جانفي 2004

مطبعة NIR منطقة الإيداع حمروش حمودي – سكيكدة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع القانوني 2004/31

ردمك : 9961 - 9526- 8-5

## الإهداء

إلى الخالدين في الدارين

ابن أختي رشيد وهويتسلّق أشجار الحلم

صالح قيطوني وهويدعوني إلى اقتحام عالم الصحافة

محمد بولمدايس وهويمنحني شريط فرحي الدائم

ن / د



## يحسدني

قد يحسدني التاريخ ،  
ويحسدني الزّمن الممتدّ وأحفادي  
قد تحسدني الأنهار،  
وتحسدني إن بحت الوردة والأطيّار  
الصّخر،، الشوكة تحسدني،  
وأرقّ الأعواد  
قد يحسدني الشّعراء ،  
ويحسدني الغاوون وأصحابي  
قد يحسدني ضيف  
أولصّ محترف ،

قد يحسدني إن بحت النادل في مقهى  
" البوسفور "  
وفي " النادي "  
قد تحسدني أمي ، ،  
قد تحسدني إن بحت الزوجة ، ،  
تحسدني كلّ امرأة في الأرض ،  
ويحسدني إن قلت أحبّك أولادي  
قد تحسدني المدن الأخرى ،  
قد تمنحني فرصا أخرى ،  
وتبالغ في الإغراء لإبعادي  
قد تخطفني من بين يديك  
ومن نفسي امرأة من نور،  
فتغيّر عنواني،  
وتغيّر إيقاع الأنوار وإنشادي

قد يحسدني السلطان ، فيبعدني  
قد يلغي كلّ مواعيدي ، ، ،  
قد يسجنني ،  
من أجلك قد يلغي كل الأفراح ، ،  
ويلغي كلّ الأعياد  
قد يحسدني ظلّي ،  
قد يهرب عنيّ ،  
قد يرميني من أعلى جسر في الأرض  
إلى الوادي  
قد يطعنني من أجلك حرّاسي  
قد تجتمع الدنيا ، ،  
كلّ الدّنيا لمحاربتني  
وأنا ما عندي سيف ،  
لا أملك غير لساني ،

واللّغة الحبلى بالحبّ وسحر النّعمة والضّاد  
ما عاد بوسعي أن أحميك وأحميني ،  
ما عاد بإمكانني أن أصنع من عود سيفا  
وأشقّ دروبي وسط الأوغاد  
البوح يكلفني عمري ،  
فحذار حذار...  
فأخشى ما أخشاه علينا  
كيدَ الحساد  
نامي إن شئت بذاكرتي  
أوفي قلبي  
يكفيك حضورا أنك في قلبي ،  
أن اسمك في شعري ، ،  
وعلى شفتي ، وشهادة ميلادي  
قسطنطينة ذات مساء ملهم



## أرى بلدي

في القرن الواحد والعشرين

أرى بلدي في السوق يباعُ

وأرى شعبا تتقاذفه الأمواج ، ، بلا حلم يمشي .

الجهلُ الخوفُ اليأسُ النَّاسُ جياغُ .

وأراني بين النَّاسِ أدور ، ، أفْتَشُّ عن وجه

لم تخدمه الأيامُ

ولم يصدأ

وأدور أدورُ بلا جدوى .

لم يبق من الدنيا ، ،

من أسوار القرن العشرين سوى أشباه قلاع

أدتثر بالأحلام أغيص أغوص بذاكرتي أغفو

وأغيص أغوص فيوقظني طفل لا أعرفه .

يا عمّ الجوع يقطّعي .

يا عمّ الموت يهدّدي .

أمّي سرقت ،

وأبي في السكّة ضاع .

أصحو مذعورا ،

أركض كالمجنون أفتّش عن أمّ الطّفل المفجوع

أدور أدور بلا جدوى

لا يوجد وجه يشبه وجهك يا ولدي .

إلّا وجهي ،

خذني إن شئت أبا .

أوشئت أبا .

لا يوجد وجه إلّا وجهي

إلّا وجهك يا ولدي من غير قناع .  
في القرن الواحد والعشرين أرى علما لالون له  
وأرى صنما في الأرض مطاع .  
الرحلة متعبة ، ،  
وحقيبة زادي أعيتهما الأسفار ، فخذ بيدي .  
يا شيخ البلدة خذ بيدي ،  
فأنا من غير متاع .  
يا شيخ البلدة ما أقساك - أتنكرني -  
قد كنت صديقي في المنفى  
بل كنت أخي ،  
ولساني في المنفى ، ،  
هل أنستك الأيام أغانينا ؟  
هل أنساك الزمن الموبوء أمانينا ؟  
كم كنت تغني : الموت ، الموت

ولا ترضى بالذّل سباع  
من شوّه صورتك المثلّى ؟  
من قطع شاربك الأعلى ؟  
ها أنت بلا وجه ، ،  
وبلا صوت ،  
وبلا حلم .  
يا شيخ البلدة ما يبكيك ؟  
أتلك دموع من وحي الذكرى ؟  
أم دمع خداع  
يا شيخ وداع  
في القرن الواحد والعشرين أرى جبلا .  
ما بين الشاطئ والجبل الممتدّ شعاع  
وأنا في بحر لحيّ .  
من أين أجيئك يا بلدي ؟

النّسر الكاسر من فوقي ،  
والقرش الجائع من تحتي .  
وأنا وحدي .  
كالقارب أسبح في بحرٍ من غير شراع .  
مرج البحرين الماء هنا سمّ  
والماء هناك بلا طعم .  
الموجة تلطم خدي ، ،  
تلطم هذا الجسم المنهار  
الموتُ أمامي الموتُ ورائي الموتُ يلاحقني .  
مزمار في أذني ،  
وضجيج في رأسي ،  
أصوات ، دقّات وصداع .  
الموجة تلطم خدي ، تلطمني  
أتقيأ ماءً ، .. أبلع ماءً ، أبصق في وجه الأنواء

فتصفعني

فأشبح بوجهي..أرفع كفي...أصفعها ،

الصمت الصمت الحرب خداع..

أتقدم نحو الشاطئ والجبل الممتد

فأسمع صوتا يهتف بي ،

أتشجع أكثر أسبح أسبح

أخترق الأمواج بلا خوف

ها أضحت أخباري في البحر وبين الناس تداغ

لكني أسقط في شرك القرش المسعور فيقلبني

إنني لا أسمع صوتا .

إنني لا أبصر شيئا .

إنني أنزف أنزف .

إنني في الأعماق بلا رجل وبغير ذراع

كم كنت غريبا في المنفى!!

كم صرت غريبا في بلدي!!  
الرحلة متعبة ،  
وحقيبة زادي أعيثها الأسفار وخاتمتي ،  
في قاع البحر بلا رجل ،  
جسمي بين الحيتان مشاعُ .  
إنهض ...  
إنهض يا عبد الله ولا تيأس  
اضرب بعصاك البحر وشقّ طريقك لا تيأس .  
أصحو مذعورا ، ما هذا ؟  
وإذا بالنّور وصوت بلال يناديني .  
إنهض إنهض ..

قسنطينة في 12-02-2000

## براءة

يا للقضاء وحكمة الأقدار

هل كان عمري خارج الأعمار

ها أخطأتني مرّة أخرى وكم

قطعت رؤوسا شفرة الجزّار

مرّت كبرق ، خلّفتني ها هنا

كالشّوكة الصّفراء ،، كالمسمار

ها خلّفتني يا دمي وأنا الذي

أذكيت فيهم جذوة الأشعار



غنيت صرحا قد هوى و منارة

عربية الآفاق والأغوار

كانت هنا ليلى وكان حماتها

أين الحماة وزهرة الأزهار

يا كم سهرت الليل أبكي حسرة

حتى انبرى بحماسة أنصاري

يتسابقون مع الرياح سيوفهم

كقلوبهم في حالة استنفار

وأنا الذي أذنت يوم خروجهم

وصرخت فيهم أن خذوا بالثأر

أهو القضاء أم الخيانة يا دمي

إني لأشعر بالأسى والعار

للمرة المليون تخطئي وها

فقدت بريق شعاعها أنواري

أوكّل شأني في الوري أن يخرجوا

وأظّل وحدي قابعا في الدّار

أوكّل شأني أن أتابع من هنا

أخبارهم في نشرة الأخبار

متفائلا حيننا وحيننا ناقما

مستنكرا وحشية الأشرار

يا للفتى المرمي ، أعياه الرجا

مكوية أطرافه بالنّار

أمّ تضمّ رضيعها في حفرة

في مقلتيها صورة المنشار

وصبيّة خدش التراب جبينها

كان الظّلام وشجرة الدردار

يا زهرة الفتيات من ذاك الذي؟

فتوجّهت في صمته للغار

كانوا هنا، لم يتركوا أثرا سوى

كيس الحشيش وعلبة السيّجار

من هؤلاء؟ سألت فارتعشت يدي

عبثا أفكر، ما همو أنصاري

للشعر طعم الموت، أشعر بالعيّا

بالجين، بالغثيان،، بالدوّار

مضت الرّياح، جراحنا لم تلتئم

الحرب أقت آخر الأوزار

ما زلت حيّا، والجزائر لم تنزل

عربيّة العينين والأشفار

من أجل ذلك يا حبيبة إنّي

ذقت النوى وأفضت في الإمهار

علّمتني الإبحار فيك وإنّي

أبحرت عكس مشيئة التيّار

قاومت موج البحر، قاومت الردى

أتقنت فنّ الغوص والإبحار

يا كمّ صبرت على الأذى متعللا

وكم اعتذرت لسيفي البتار

يا كم سهرت اللّيل أبكى غيرة

حتى استحالت قطعة من نار

قدر عليّ بأن أحبّ بقسوة

بشراسة الأنياب والأظفار

قدر عليّ بأن أضمك خائفا

متحرّزا من طعنة الغدار

أفانيت عمري كلّه متحملا

في الحبّ كلّ العبء والأخطار

يا مرحبا بالموت أفرح لو أنا

لُومْتُ يوما ميتة الأحرار

مضت الرّياح وما تزال حبيبي

منقوشة في القلب في الأشعار

إني أحبّك فاكتبيني شاهدا

هذا زمان الطبل والمزمار

والقادة المتدربين على العصا

وعلى اغتيال الروح والأفكار

عصر الجياع النائمين على الثرى

عصر اللّيالي الحمر والدّولار

وأنا أحبّك علّقيني صورة

في القلب أو في متحف الآثار

أو فامنحيني بسمّة وإشارة

عبثا أو اصل دونها مشواري

لم تصمتين ؟ تكلمي لومرّة

قولي أحبّك ، فجري أنهاري

أنا أول العشاق آخرقلعة

كنت الوفيّ ولم أزل فاختاري

أن تقبليني هكذا متمردًا

أوفاخنيني واحرقي أشعاري

قسنطينة 1999/11/11

## حالتان

### (1) سقوط

موغلا في حرقتي وكسوري

في لهيب الصمت . رمز نفوري -

قد رضيت بانتهائي ، دعيني

ها هنا أصغي لصمت الدهور

أنت ظلّي وامتداد نهاري

أنت نوري يوم يخفت نوري

وقعي باسمي شهادات حيّ

وقعيني شاهدا في العصور

أرسميني فارسا مستميتا

أوحماما تحت ظفر النسور

سجليني إن أردت شهيدا

ثم رشّي غرفتي بالعطور

سجّلي في متحف الخالدين

أنّي قدّمت أعلى المهور

واذكري أنّي عشقتك دوما

لم أغيّر في الفصول شعوري

غير أنّي موغل في استماعي

لحديث الرّوح،، نجوى كسوري

أكملي المشواردوني ، دعيني

أكمل المشواربين طيوري

أن لي أن أستريح بعيدا

إنني بالأمس ثرت ، فثوري



( 2 ) إرتقاء

موغلا في دهشة اللاشعور

في سديم العزف - شهد حبوري -

موغلا في رعشات اشتياقي

في هيام الرّوح - ملء غروري -

مبحرا في الليلة الزرقاء وحدي

خارقا أمواج كلّ البحور

غازيا أرض الجليد بمائي

ناشرا دفئي وسحر بخوري

كاشفا سرّي وسرّ الصحاري

ساطعا كالبدرفوق العصور

كم جميل أن أراني جميلا

في ظلالى و عيونى طيورى

و جميل أن أرانى كثيرا

و أرانى يانعا فى بذورى

توشك الأسرار أن تتجلى

عاريات فى رخام سطورى

أبشرى يا أم "مهدي" فإنى (...)

إنها لحظة بعثى . نشورى .

هذه الأنجم بعض عيونى

وبلادى غرفة فى قصورى

إننى أنست نارا ونورا

فاملئى الأكوان من فيض نورى

قسنطينة فى 20 ماي 2001

## إقري شعري عليّ

اقري شعري عليّ

أسمعيني ما أنا قلته فيّ

ترجمي دقات قلبي،

إنّ للقلب رموزا ولغاتٍ أجنبيّه

اقري لا تسأليني

حاولي أن تفهميني

إنّني مثلك أبغي أن أراني

واضحاً في مقلتيّ

صدّقيني إنّني أجهل ذاتي

.....

إقرئي شعري عليّ  
دعك ممّا أوحى الأبراج ، ،  
ممّا قاله العرّاف ،  
دعك من خطوط في جبيني ويديّ  
إنني في الشّعر غوصي ،  
أنزع القشرة غوصي في الجروح  
سافري فيّ بعيدا  
وأفيض في الشروح  
هذه روجي فروجي ثم روجي ثم روجي  
ثم عودي ،  
وأعيدني إليّ  
إقرئي شعري جهارا  
أسمعنيه مرارا  
علني أدرك سرّا خافيا في كلماتي.

إقرئي شعري عليّ  
ها هي الأشعار،  
فاختاري قصيده  
إقرئي أحلى قصيده  
خطأ أن تسأليني  
فأنا لا فرق عندي بين حرّه  
وأسيره  
بين أولى وأخيره  
خطأ أن تسأليني  
كلّهن خفقاتي  
كلّ حرف هو جزء من حياتي  
كلّ بيت جينة تحوي رؤاي و صفاتي  
كلّهن بصماتي .

.....

إقرئي شعري عليّ  
أسمعيني بعض صيحات شبابي  
ذكّرني ببطولاتي،، فتوحاتي،  
بمجدي و صحابي  
ذكّرني بالوطن،  
بسنين كنت فيها أسبق الريح ورقاص الزمن  
بحروب كنت فيها الفارس المغوار. لكن  
هدّمت سوري الفتن  
ذكّرني ....ربما الذكرى تفيد  
تبعث العملاق فيّ من جديد  
دثّرني برذاذ الكلمات ،  
وأزيحي ذا الكفن  
ربّما يرجع صوتي  
فأغنيّ للحياة .

إقرئي شعري عليّ  
أسمعيني ما أنا قلته فيك ذات عيد  
ما أنا قلته يوما في الشّهيد  
إقرئي شعري عليّ وأعيدي  
أشعلي النيران في صدري وزيدي  
أكسري الأغلال دقيني ودقيني  
اسحبيني من وريدي  
واهتفي باسمي لعليّ  
أستفيق من سباتي .  
إقرئي شعري عليّ  
ودعيني أتلقّى بسكوتي  
أبحري فيّ بعيدا .. لا تخافي  
أنا لا أكل حوتي  
جرّبي حظك غوصي في جروحي

شَيْدِي الْعَمَلَق فِي أَغْوَارِ رَوْحِي  
حَطِّي الْحَلْوَى ، ،  
هَبِينِي قُوَّة عِظْمِي لِتَحْطِيمِ النَّحْوَتِ  
أَدْرِكِينِي  
إِنِّي أَفْقَدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ خَطْوَةً مِنْ خَطْوَاتِي  
إِقْرَأِي شِعْرِي عَلَيْكَ وَعَلَيَّ  
حَرِّضِي الْمَكْبُوتَ فِيَّ  
ذَوْبِيهِ  
ثُمَّ ذَوْبِي فِي شَوَاطِئِ الْكَلِمَاتِ.

سرتا في 11 نوفمبر 2001



## طفل المدينة

يا أنت يا طفل المدينة

أنت يا من لا تجيد سوى الغناء،،

سوى التنقل بين أحياء المدينة والقصيد

يا أنت يا من تستفز الناس بالشعر الجديد

دوما تحرّضهم على تمزيق أستار الظلام

تحثّهم أبدا على أن يخرقوا حظر الكلام

ويخرقوا تلك الحدود

يا أنت يا طفل المدينة

أيها الولد الذي احتضنته أرففة

الشوارع والرؤى

ها أنت تكبر دون أن يدروا

وتعبر دون أن يدروا

وتكسر دون أن يدروا القيود

ماذا عساك تقول

أنت محاصر فاصبر على البلوى إذا صمت

الكلام وكشّرتُ عن نايها لغة لحديد

ها مرّت السنوات،،

ها انقلب الأحبة ....

ها تقيّأت الدروب غثاءها

أصبحت يا طفل المدينة في مدينتك الطريد

ها صرت متهما بحرق سفينة السلطان

متهما بخنق جميلة الفتيات

متهما بحرق الأرض

متهما بزرع الفتنة الكبرى  
وتسميم الطرود  
وعليك أن تجد البراءة في النشيد ،  
عليك أن تلغي الفواصل والهوامش  
بين من قالوا ومن قتلوا  
ومن سكنوا اللّحود  
اسأل شيوخ الحيّ إنّ نسيّ الرماة  
فإنّ ذاكرة الزمان تخزّن الألوان والأسماء  
اسأل ربما تجد المحارمخبأ وسط الوسادة  
أوبداخل قشّة ..  
أويين أطباق الجلود  
إنّ البطولة لم تكن في أن تهاجر  
إنّما في أن تعود  
ها أنت

بعد مسيرة حبلى تنام على رصيف الخوف  
تنتظر الإشارة من صديق قال ذات عشية  
للأرض: كوني وردة  
فبكت وطال اللّيل  
واختلف الأحبة في الطريق إلى الورود  
ها أنت تنتظر الإشارة من صديق  
صاغ في السّر البنود  
يا أنت ...  
يا طفل المدينة  
أنت وحدك تستطيع بعزمك الأبدي  
أن تأتي وتمنحني الضياء  
حاول وحاول أن تراني  
أن تقرّبني إليك  
وأن تساعدني عليك

فأنت وحدك تستطيع حمايتي  
حاول أيا طفل المدينة  
أيّها الولد الذي أحببته  
وظللت أحرسه من الأفعى وأنياب الأسود  
إنّي أمامك بل ورائك فوق رأسك تحت نعلك  
إنني في الظلّ في كلّ الجهات  
أنا الذي رافقت جرحك في التّزول  
وفي الصّعود  
حاول لعلّك تستطيع بحبّك الأبدي  
أن تهب المدينة قطرة أخرى  
فتمتلئ الحدائق والرؤى  
بالياسمين وبالورود  
الماء تحتك والرياح تنام في جنبك حاول  
أن تقرّبني إليك وأن تساعدني عليك

وأن تنير مواسمي  
وتعيد لي وجهي الجميل  
وأن تقربّ ذي الخدود من الخدود  
انظر إلى النمل الصغير وهو يجمع بعض  
حبات الحصى  
ويسير مرفوع الجبين مغيّراً مجرى الوجود  
انظر إلى العصفور فوقك لا يكفّ عن الغناء  
ولا تعكّر صفو بهجته الرعود  
إنّ البطولة لم تكن في أن تهاجر  
إنّما في أن تعود  
ها أنت يا طفل المدينة بعد كلّ العمر  
تنصت للرياح وهي تحمل نعث فصل الخوف  
تروي قصة الفصل الجديد  
تغيّر الدّنيا فلا تسأل عن الدّنيا

وعمّن غيّرُوا  
تتغيّر الأسماء لا تحزن عن الأحباب  
عمّن هاجروا  
كلّ يسير إلى الفناء  
غيّر أنك تستطيع بعزمك الأبدى  
أن تهب المدينة بسمة حرّى  
وتمنحها الخلود  
حاول وحاول  
فالبطولة لم تكن في أن تهاجر  
إنّما في أن تعود

قسنطينة 2002/1/04

## هذا دمي، هذه صورتي

أنا ابن المدينة لا أعرف الريف ،  
لكنني أعشق الأرض ،  
أورثني الطير سرّ الغناء  
أغرّد حين أشاء  
و حين تضيق بي الأرض ،،  
حين تصوّب نحوي البنادق  
أستنفر الرّوح ،، أسمو بها ،  
ثم أرسل من سدرة المنتهى قبسا من ضياء  
أبي " جيجلي " الملامح والكلمات  
يحبّ الفواكه ،،



يعشق زيتونة حفظت نسله من رصاص الغزاة  
ولكنّ "سرتا" التي سَحَرَتْ غيره سرقتُ قلبه ،  
سكبتُ عطرها في النشيد  
فأعلنت الأرض ميلاد فصل الربيع ،  
وميلاد طفل جديد  
فكان الهوى والولاء  
وكان النماء  
تَعَلَّقْتُ منذ الصبا بالحياة  
تدثرتُ بالحلم والأمنيات  
رسمتُ ملامح محبوبتي  
ودعوتُ لنا في الصلاة  
وغاليتُ في وصفها  
قلت: كانت هي الحُلْمَ والأمل المرتجى  
ثم صارت ربيع المواسم ، ،

شلالٌ أغنيةً باركتها السماء  
تعلّقتُ منذ الصبا بالحياة  
تماديت في البوح ،  
غنّيتُ محبوبتي جهرةً،  
وركبتُ القطار  
دمي جاهز،  
والقوافل تنتظر الأمر،  
هيا انطلق أيّها الراكب،  
إنّا على موعد بالنهار.  
ولم أنتبه للمسدس ،،  
لم أنتبه لاصفرار الطبيعة ،،  
لم أنتبه للحصار  
أنا لغزهدي المدينة،  
كنت فتى ميّتا في حديث الشوارع،،

وكننت فتى تائها في الرّمال ، ،  
وكننت فتى هاربا في الشّعب ، ،  
وكننت فتى أسلمته المدينة ذاك المساء  
إلى امرأة من ضياء .  
أنا الميّت الحيّ...  
لم يقتلوني ،  
ولكنهم طعنوا الظلّ حين استوى في الستار ،  
ومن أجل ذلك ظلّت تلاحقهم لعنتي  
وتقضّ مضاجعهم صورة عُلقّت بالجدار  
لسرّتا التي أسلمتني لجارتها  
بأقة من حنين ، ،  
وكلّ الوفاء  
فصول المحبّة أكبر ممّا تخلّده الصفحات ،  
وحزن المواسم أكبر من هذه الزفرات

وإني تبرأت من صورة لبستُ صورتني في المحافل،،  
من خطوة كنت أحسبها خطوتي،  
ثمَّ حين تعثرتُ في الركض  
داست على جسدي  
ومضت في الزحام  
وكنت ألوح من حفرتي وأصيح  
أنا بعض هذا التراب الذي دستموه  
ولكنهم ذهبوا،  
وبقيت أنا والتراب  
أنا لغزهذي المدينة،  
هذا دمي،  
هذه صورتني،  
والأغاني التي روجتها الإذاعات ليست  
سوى شوكةٍ في فؤادي

سوى وجع في دماغي  
سوى شهقة من بقايا البكاء  
أنا في انتظارك يا سيّد العارفين  
أنا في انتظارك ،  
خذ قطرة من دمي،  
ثم خذ قطرة من هنا ...قطرة من هناك  
لتعرف أنّي هنا وهناك  
أنا ابن المدينة  
لا أعرف الرّيف  
لكنني أعشق الأرض  
أورثني الطّير سرّ الغناء  
وسرّ البقاء .

سيرتا 21 جانفي 2002

## البذرة و اللّهب

جرّدتها في غفلة العيون

من عريها المسافر المجنون

من شهقة موصولة بالدّف والوتر

من رغبة الكؤوس في شواطئ المجون

دثّرتها بجبّة الأمل

بزينة الزيتون والنخيل والعسل

بطلعة...

يغار من سنا صفائها الميسون

أيتها الجميلة المروج ما تزال

والنّخل والأنهار والجبال

تطفح بالهدى

بالشّعرو الجمال

فابتهلي و غرّدي

كالطّير في الغصون

بأجمل اللّحون

هيّاتها في غفلة العيون

هيّات فيها تربة

وبذرة زكية

هيّات فيها علما وعالما لحلمي المكنون

وسرت والظّنون

تلاحق المكنون

مدينتي مدانة في السرّ والعلن

لا تملك الفلوس

لكنّها

توفّر الزّهور و العطور و الطقوس

في رحبة الهوى

وتخفق العروس

مدينة الجسور و العلوم و الفنون

مغرمة بفتّها العميق

بالرقص و النهيق

تكافئ الأقدام حين تركل الكره

و تقطع الرؤوس

يا أيّها المأجور

أخمرة سُقيتها؟

أم أنّها دماؤنا تساق في الكؤوس



مثقلة بحملها الخطى  
ومثقل بحمله " البرنوس "  
مشيتُ والسؤال ما يزال  
يمتصّني  
يحرقني  
ويحرق الخيال  
يا خافقي  
يا غافر الذنوب يا مطهّر النفوس  
محطتي بعيدة  
وبذرتي نحيفة  
أخاف أن تطالها الأحقاد والفؤوس  
أخاف أن يدوسها بنعله المجنون  
مشيت والدماء خلف خطوتي تسير  
وطال بي المسير.

كم قطرة من دمنا تراق  
كم دمعة لا بد أن تمزّق الأحداق  
كم خطوة تلزمنا لتنتهي مأساتنا  
ونعبر الأنفاق  
في ذلك المساء  
رأيت ناسا خارجين من غياهب الزقاق  
منددين ساخطين حاملين راية العراق  
المجد للعرب  
للقدس والعراق  
و حينما توغّل الطوفان  
وفرطت بغداد في بغداد  
وابتلعت سفينة الفرات "سندباد"  
وانطفأ المصباح  
وأدرك الصباح "شهرزاد"

تراجع الصراخ في المدن  
وارتدت العواصم الحداد  
عراق يا عراق يا قذارة الوثن  
استسلمت بغداد  
واستسلم الوطن  
المجد للعرب  
للقديس و العراق  
لأمة تستنفر الخزان  
لتحرق المخزون  
مشيت و السؤال ما يزال  
كعادة السؤال  
يمتصني  
يحرقني  
ويحرق الخيال .

هل أنزوي ؟  
وأرتقي بجسمي المنهوك  
أم أحتمي في رحلتي  
بالحاكم المملوك  
بوصلتي تدور في الفراغ  
يدور في فراغها اليقين والشكوك  
محطتي بعيدة  
وبذرتي نحيفة  
وهذه الدماء ما أظنّها في عمرنا القصير  
تغيّر المصير  
أوتدفع البلاء أوتحرّر الضمير  
إنساننا مكبل بالنّفط والأفيون  
هل أنزوي  
ويرجع الصدى

لا بدّ أن تواصل المشوار  
لا بدّ أن تكون  
يا أيّها المفتون  
مسافرأنا  
في اللّيل والنّهار  
مهاجرأبحث عن أنصار  
مغامرتعرفني السّجون  
تعرفني الزلازل الحروب والأمطار  
رفيقتي في رحلتي حقيبة صغيرة  
خبّأت فيها صورتي وأروع الأشعار  
خبّأت فيها وطني ومجدي المطعون  
و حينما استبدّ بي التعب  
وانتكست حدائق البريق  
جلست في زاوية مظلمة

في آخر الطريق  
محطتي بعيدة  
وبذرتي نحيفة وعالمي يضيق  
وهزّني السؤال يا غريق  
ما هذه الحقيبة المرعبة التي ....  
وأنت من تكون  
يا أيّها المجنون  
وانهالت السيّاط دونما انتظار  
وما أفقت إلا والنّهار  
قد عاد من بعيد  
وجدتني معلقا ، ، ممزّقا منهار  
فصحت يا أبا لهب  
أيّتها العجوز يا حمّالة الحطب  
أما لكم سوى السيّاط

وهذه النيران  
وهذه الخطب  
وصاحت التي في جيدها المسد  
يا حاكم البلد  
إنّ الفتى وقد فسد  
لا بد يموت  
لننقد البلد  
وانهالت السيّاط دونما انتظار  
والتهب اللّهب  
وما أفقت إلاّ والسيّاط قد عوت  
بصوتها المبحوح  
وراحت النيران تشتكي وترتعد  
من قسوة الجسد  
وظنّنت التي في جيدها المسد

وصاحت الطبول في محافل البلد

قد انتهى

وما انتهيت إنّما

غشيتهم بوابل الزكام والرمد

طلعتُ من عباءة الفناء كالمسيح

ألقيتُ بي في حفرة آمنة الظلال

لأسكن الأبد

ولا أحد.. إلاّ الأحد

إلاّ الذي طهرني من حمي المسنون

ودارت الفصول والسنون

يا تلكموا السنون

الدّمع والدّماء والسّجون

وآلة المنون

ودارت السنون



ثم انطفأ أبولهب  
واحترقت بناها العجوز  
وصاحت السيارة انقدوه  
يا أيها العزيز  
قد نستعين بالفتى لنكمل الطريق  
قد نحتمي بظله من سخط الحريق  
فصاح أخرجوه  
من جبه العميق  
يا أيها الفتى  
يا أيها الصديق  
إن الكريم عندنا مكرم وأجره مضمون  
لكنتي رفضت أن أسير  
أن أنزع " البرنوس " عند بابه

أن أرتدي جبّته أو بذلة الوزير  
أحبّ أن أظلّ مثل طائر الفينيق  
مرفرفاً طليق  
أموت في حرائقي  
ومن رماد خفقتي وجمرتي أُفِيق  
قد يحتفي بعيده الوزير  
قد تحتفي يا أيّها العزيز  
بعيدك السبعين  
وفي الأخير تختفي كما اختفى "قارون"  
لكنّني سأحتفي من بعدكم  
بعيدي البليون  
وصاحت البذور في الحقول  
والنّخل والزيتون  
ومن ترى تكون؟؟

فصحت والصدى يرُدُّ من بعيد  
إنْ لم أكن ضميرها المشعّ في أعماقها  
فمن ترى أكون ؟  
فمن ترى أكون ؟

سرتا 8 ماي 2003 م

## حمامة السلام

### مقدمة :

عادة ما تلجأ الطفلة أمينة بعد تناولها فطور الصباح إلى حجرتها، لا سيما في أيام العطل المدرسية، فتراها تقلّب صفحات القصص ذات الألوان الزاهية، أو تلعب بدميتها تمشّط شعرها، وتغني لها.

لكن هذه المرّة، وعلى غير عاداتها، ظلّت أمينة في سريرها تفكّر في الحمامة التي رأتها في منامها ورأتها بعد ذلك عندما استيقضت من نومها، جدّتها تنام إلى جانبها، فدهشت أمينة، وشعرت بالخوف، أرادت أن تصرخ فلم تستطع، كان صراخها مدويًا في الأعماق ولكن لم يسمعه أحد، فانكمشت في سريرها وظلّت كذلك لمدة ساعتين أو أكثر.

فتحت الحمامة عينها، نظرت إلى أمينة، وكانت هذه الأخيرة ما تزال منكمشة في سريرها، مشدوهة لا تقوى على الحركة،

فأحسّت الحمامة بذلك، وأرادت أن تخفّف عنها فطارت برقة ولطف وحطت على حافة النافذة، ثم تبرّمت، نظّرت إليها قليلا ثم حلّقت بعيد. ففاضت عينا أمينة بالدمع، شعرت أنها ارتكبت ذنبا لا يغفر، فخوفها وانكماشها سببا للحمامة إخراجا فطارت ، وكم تمنّت أن تعود الحمامة إليها، لهذا ظلّت في سريها تفكّر وتنتظر، من يدري لعلّها تعود.

لم تكن أمُّ أمينة تعلم بذلك، وفور انتهائها من عملها اليومي نادتها وطلبت منها أن تقص عليها قصة السلحفاة البحرية التي جاءت إلى الجزيرة لتضع بيوضها، فأمر الأسد قائد جيوشه الفيل بحبسها خوفا من أن تكون جاسوسة تعمل لصالح ملك البحر.

لكن أمينة التي تحب هذه القصة كثيرا رفضت هذه المرة، وترجت أمها أن تجلس معها لتقصّ عليها قصّتها الجديدة - قصة حمامة السلام.

وإليكم ما دار بين أمينة وأمّها في الحجرة التي صار اسمها بعد ذلك " بيت الحمامة " :

الأمّ :

صغيرتي أُمينه      يا طفلي الأُمينه  
نسيت ذكّريني      بقصّة السّفينه  
بقصّة السّلاحف ...      الصّغيرة المسكينه  
وطائر السنونو      والجدّة الحزينه

البنّت :

أمّاه ليس عندي      حكاية سواها  
حمامة بيضاء      تطير ما أبهاها  
ألمّ تريّ بأنّي      قضيت كلّ وقتي  
هنا على سريري      وحيدة بيّتي

الأمّ :

صغيرتي أعذريني      كثيرة أشغالي  
قصّرتُ سامحيني      صغيرتي تعالي

تبسّمي رجاء      لا تغضبي من "ماما"  
أرجوك أخبريني      ما قصّة الحمامه

البنّت :

حمامة أمّاه      ما مثلها حمامه  
كأنّها ملاك      تظللّها غمامه  
تجّيء كلّ يوم      بحفنة وماء  
فتزرع الأراضي      وتسأل السّماء

الأمّ :

بنيّتي جميل      ومنتهى الجمال  
أنّ تسبحي قليلا      في عالم الخيال  
شوقتي كثيرا      ما أروع البدايه  
بنيّتي اكملها      لنفهم الحكايه

البنّت :

لم أخترق أمّاه      بفكري الغيوم  
وما سَبَحْتُ يوماً      في عالم النجوم  
حامتي يا أمّي      رأيتها في نومي  
فحاولي افهميني      وفسّري لي حلّي

الأمّ

بنيّتي استريحِي      لعلّه العياء  
أوربّما يا بنتي      أسرفت في العشاء  
وقد تكون رؤيا      تسرّنا فقولي  
تفضّلي اسمعيني      بقيّة الفصول

البنّت

حامتي يا أمّي      تحطّ في السّقف  
تطلّ من بعيد      تطيل في الوقوف



تجىء كلّ فجر وفي المساء.. تروح  
فتارة تغنّي وتارة تنوح  
سمعتها تقول فتسحر العقول  
كلامها جميل وعندها الحلول  
يا أيّها الكبار ظلمتم الصغار  
زرعتم المآسي بهذه الديار  
سمعتها تنادي رويدكم أولادي  
أتيت كي أغني للسلّم في بلادي  
وظلّت المسكينه تدور في المدينه  
ففي الجبال حيناً وفي القرى الحزينه  
عامان أويزيد وهي كالبريد  
تروح كل يوم وتأتي بالجديد

تسير في تان      والشعلب الخبيث  
يسير في خطاها      يحرف الحديث  
وهي في السقيفه      تناشد الخليفه  
أزاحها صياد      وصوب القذيفه  
وحيثما تجلت      ملامح الخلاص  
تبرمت عيناه      وأطلق الرصاص  
فطارت الحمامه      وخلفها الغمامه  
تهاطلت دماء      وعمت الندامه  
تخيلى قليلا      مدينة كبيره  
من حزنها يا أمي      تنام في الظهيره  
أمّاه بعد عام      أطلت الحمامه  
رأيتها بعيني      تعانق اليتامى

تناشد الثكالى وتمسح الدموع  
في حلقة الليالي وتشعل الشموع  
بجسمها النحيف وريشها الخفيف  
تسير دون خوف تنام في الرصيف  
تقول لست أخشى رصاصة الصياد  
أجل ولست أخشى حماقة الحساد  
مهيضة الجناح أجل أنا كسيره  
لكنني سأمضي وأكمل المسيره  
مهمتي ثقيه لكنه لکنها نبيله  
أحب أن يسود السلام والفضيله  
تحدث المذيع وروج الأخبار  
حامتي اطمئني سنكمل المشوار

تعالَت الأصوات ودقَّت الساعات

تعانق الأهالي وخفَّت المأساة

وحيثما أفقت أمّاه من رقادي

رأيتها أمامي تنام في وسادي

رأيتها بقربي وخفّت أن تراني

صرخت ملء قلبي فخانني لساني

بقيتُ ساعتين مكتوفة اليدين

مشلولة رجلايا مصفرة الخدين

وعندما أحسّتْ بدهشتي وخوفي

تبهرمتْ وطارت برقّة ولطف

أمّاه حين طارت تهاطلت دموعي

فهل تراها راحت من غير ما رجوع

سألت من تكوني يا زينة الحمام  
تبسّمت وقالت حمامة السلام  
صديقتي وداعا أمانتي احفظيها  
يا بنت عاهديني للنّاس بلّغيها  
الشّمس قد أطلّت وعمّت السكينة  
تحقّقتُ منانا إلى اللّقا... أمينه  
الأم  
صغيرتي صدقتِ أجل لقد أصبت  
اليسر بعد عسر تأويل ما رأيت  
ففي الدموع طهر وفي الشّموع لقا  
تحقّقتُ منانا والحلم كان رؤيا

حقولنا الغنيّه      يصيبها الجفاف  
فبعشرة سمان      وعشرة عجاف  
وبعدها سنين      للتمر والزهور  
يخضر كل شيء      وتفرح الطيور

قسطنطينة في 23 أفريل 2000

## هكذا كانت الرحلة الثالثة لسندباد الشعر

بقلم حسن دواس

ممتطيا صهوة الحرف المتوهّج، لم يزل موغلا في سراديب اللّغة المستحيلة على وقع ترنيمة شوّه الزيف نغمتها، وأحمد سحر لظاها الحريق ، لم يزل مبحرا ، لا ، لا طير نورس يحلّق فوق السفين ينسيه غضب البحر ، إلاّ حمامة ورقاء سكنت القلب منذ صباه ..كانت في الأفق تطلّ فتلقي في الرّوح نسغ الحياة وفيض التحديّ ..

لا مجاديف إلاّ بعض النبض الصّادق يوجّه أشرعة الفلك وقد

شعشع بين الجوانح نورا يضيء ظلّمة الطريق

راحلا لم يزل ..وما إن حطّ على مرفاء " السفر الشّاق " معلنا عن

ميلاد غيمة شعرية ماطرة ، مضمخة بجلال الكلم الطيب .. المحمول

على أجنحة سحر البيان و المجاز ، و على صهوات قدسية الغاية

والرسالة ، حتى شدّ الرحال مرّة أخرى على متن "مسافات" يمخر

عباب القول الهادي والصمت الصارخ منغمسا أكثر في لُجّ الدّات

وخضم الآخر، وقبل أن يلقي مرساة العودة وعلى نفس الأجنحة،

وحمامة القلب لم نتزل تحرس فلكه يعرج في رحلة ثالثة صوب  
"البذرة واللّهب" بذرة جذورها مسافرة في الأرض وفروعها في السماء ..  
قاصدة أرض " عشتار " في اتجاه وفضاء " ديدال " في اتجاه آخر،  
ولهب يستكشف الغمب ويعلن انطلاق مسيرة السناء والسنا .  
هو ذا نورالدين درويش " سندباد الشعر " دوما على أهبة للسفر  
وارتياد مجاهيل القصيدة التي حين يكتبها ، فكأنّه يكتب آخر قصيدة ،  
ولكن يدهشه اكتشاف أوّل حرف في سفر المعنى . هو ذا نورالدين  
درويش ، سفينة إبداعية أخرى في أسطول الإبداع الجزائري المعاصر،  
وشمعة أخرى تضاء في " دار أمواج " التي تسعى وتصرّ على احتضان  
أساطين الإبداع في هذا الوطن المفدى .

حسن دواس

سكيكدة في 2004/01/06



الفهرس

- 03.....الإهداء
- 05.....يحسدني
- 09.....أرى بلدي
- 16.....براءة
- 23.....حالتان
- 27.....اقرئي شعري عليّ
- 33.....طفل المدينة
- 40.....هذا دمي ،، هذه صورتي
- 46.....البذرة و اللّهب
- 60.....حمامة السلام
- 71..هكذا كانت الرحلة الثالثة لسندباد البحر..

## البذرة و اللهب

